

السؤال

ما هو ترتيب العبادات فقد علمت من أحد الأشرطة الدعوية أن للشيطان مداخل ومن بينها ، أنه يبدأ بجعل العبد يكفر فإن لم يستطع فيجعله لا يصلي فإن لم يستطع فإنه يمنعه من أن يأتي بالعبادات الأكثر ثواباً ، وهكذا إلى أن يأتي إلى آخر مرحلة ، وهي كثرة الحلال ، أي يجعله من المبذرين ، فالرجاء توضيح ترتيب العبادات لأنني لا أدري ما هي العبادات الأكثر ثواباً فالأكثر ولكم جزيل الشكر

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

كأن السائلة تقصد بما سمعته من أحد الدعاة ، ما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم " مدارج السالكين " فقد ذكر رحمه الله سبع عقبات يحرص الشيطان الرجيم أن يهزم ابن آدم فيها ، ولا ينتقل من العقبة الأشد إلى التي تليها إلا عند عجزه عن الأولى .

فقال رحمه الله :

" الْعُقْبَةُ الْأُولَى [العقبة هي الطريق الصعب الصاعد في الجبل] : عقبة الكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أُخْبِرَتْ بِهِ رَسُولُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرَدَتْ نَارُ عِدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاحَ، فَإِنْ افْتَحَمَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ وَتَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهُدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةُ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْبِدْعَةِ، إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا...

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ، وَخَلَصَ مِنْهَا بِنُورِ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلْفُ الْأَخْيَارُ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ تَسْمَحَ الْأَعْصَارُ الْمُتَأَخِّرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ! فَإِنْ سَمَحَتْ بِهِ نَصَبَ لَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ الْحَبَائِلَ، وَبَعُوهُ الْعَوَائِلَ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ مُحَدَّثٌ.

الْعُقْبَةُ الثَّلَاثَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْكِبَائِرِ، فَإِنْ ظَفَرَ بِهِ فِيهَا، زَيْنَهَا لَهُ، وَحَسَنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوْفَ بِهِ...

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ بِعِصْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ مِنْهَا، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةُ الرَّابِعَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقَفْزَانِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ مِنَ اللَّمَمِ، أَوْ مَا عَلِمْتَ

بِأَنَّهَا تُكْفَرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يُهَوَّنُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ، أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ ضَرَبَ لِنَدِّكَ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطَبُ، فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِعُودٍ، وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، فَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأْنِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ).

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعليها، فشقغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويته الأرباح، والمكاسب العظيمة، والمنازل العالية، ولو عرف السعير لما قوت على نفسه شيئًا من القربات، ولكنه جاهل بالسعير. فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، وقلة المقام على الميناء، وخطر التجارة، وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، فبخل بأوقاته، وضمن بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو على: العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليسغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبًا وربحًا، لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية، فشقغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضي له.

ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفروا بهم في العقبات الأولى.

فإن نجا منها بفقده في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاصلها، ورئيسها ومرعوسها، وسيدها ومسودها، فإن في الأعمال والأقوال سيدًا ومسودًا، ورئيسًا ومرعوسًا، وذروة وما دونها، كما في الحديث الصحيح (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت...) الحديث، وفي الحديث الآخر (الجهاد ذروة سنن الأمر)، وفي الأثر الآخر (إن الأعمال تفاخرت) فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله، وكان للصدقة مزية في الفخر عليهن، ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه.

فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياءه، وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسلط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته، أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسلط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره، جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لامة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله " انتهى " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " (1/237).

ثانيا :

وأما السؤال عن ترتيب العبادات وما هو أفضلها ، فقد سبقت الإجابة عن ذلك في هذا الموقع ، وبيننا أنه يختلف باختلاف

الأشخاص والأحوال .

ويرجى لمعرفة ذلك مراجعة السؤال (21374) ، (232966) .

على أن من أنفع ما يكون للعبد في أمر دينه ، وأهداه إلى صراط ربه ، وأعظمه تثبيتاً له على طاعاته : ألا يزال ملازماً لذكر ربه ، في شأنه كله ، لهجا به على كل حالته .

فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَثُ بِهِ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ. رواه الترمذي، (3375) وقال: حديث حسن غريب . وصححه الألباني .

والله أعلم .